﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بيانُ أدبِ الخلْقِ بعضِهم مع بعضٍ بعدَ بيانِ أدبِهم معَ الحقِّ تعالى

هذه الآيةُ نداءٌ ثالثٌ، ابتُدِئَ به غرضٌ آخرُ، وهو بيانُ آدابِ المؤمنينَ بعضِهم مع بعضٍ، بعدَ بيانِ أدبِهم مع اللّه، ومع رسوله ﷺ، وأدبُ الخلْقِ بعضِهم معَ بعضٍ مِن أدبِهم مع اللّه خالقهم جميعًا، وقصَّةُ هذهِ الآيةِ تشبهُ قصَّةَ الآيةِ السّابقةِ؛ لأنَّ السّابقةَ في وفدِ بني تميم، جاؤوا مُعْتذرينَ عن ردِّهم ساعيَ رسولِ اللّه ﷺ؛ لقبضِ صدقاتِ بني كعبِ بنِ العنبرِ مِن تميم، وهذهِ الآيةُ في بني المصطلقِ، الَّذينَ تبرَّؤوا مِن أنَّهم يمنعونَ الزَّكاةَ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَاسِقُۢ﴾: (فسق) أصلٌ يدلُّ على الخروجِ عن الشَّيءِ والانسلاخِ منهُ[2]، ومِن ذلكَ يقالُ: فسقَتِ الرُّطبةُ عن قِشْرِها؛ إذا خرجَت عنهُ[3]، وفسقَ فلانٌ: خرجَ عن الشَّرعِ، وتركَ أمرَ اللّه[4]، والفسقُ يقعُ بالقليلِ مِنَ الذُّنوبِ وبالكثيرِ، لكن تُعورفَ فيما كانَ كثيرًا، وأكثرُ ما يقالُ الفاسقُ لِمَنِ التزمَ حكمَ الشَّرعِ، وأقرَّ بهِ، ثمَّ أخلَّ بجميعِ أحكامه أو ببعضه[5]، والمرادُ بالفسقِ هنا: الخروجُ عن حدودِ الدّينِ، والانسلاخُ مِنَ الحقِّ[6].

2) ﴿بِنَبَإٖ﴾: (نبأ) أصلٌ يدلُّ على الإتيانِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ[7]،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 97، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 228.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فسق)، والزمخشري، الكشاف: 4/ 360.
(3) الجوهري، الصحاح: (فسق).
(4) الخليل، العين: (فسق).
(5) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (فسق).
(6) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 126.
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).

وعلى ظهورٍ مسبوقٍ بخفاءٍ ما[1]، فيقالُ للَّذي يأتي مِن أرضٍ إلى أرضٍ: نابغٌ[2]، ويقال للخبرِ: نبأٌ؛ لأنَّهُ يأتي مِن مكانٍ إلى مكانٍ[3]، والمرادُ بالنَّبأِ هنا: الخبرُ العظيمُ[4].

3) ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾: (بين) أصلٌ يدلُّ على بُعد الشَّيء وانكشافِه، ومِن ذلكَ: البَيْنُ، وهو قطعة مِنَ الأرض قدْر مدِّ البصر، ويقالُ: بانَ الشَّيءُ، وأبانَ؛ إذا اتَّضحَ، وانكشف[5]، والبيِّنةُ: الدَّلالةُ الواضحةُ، عقليَّةً كانَت أو محسوسةً، والبيانُ: الكَشْفُ عنِ الشَّيءِ[6]، والتَّبيُّنُ: قوَّةُ الإبانة، والمرادُ به هنا: غايةُ ظهور الأمر الَّذي جاءَ الفاسقُ فيه بنبأٍ[7].

4) ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾: (صوب) أصلٌ يدلُّ على نُزولِ شيءٍ واستقراره، ومِن ذلكَ: الصَّوابُ في القولِ والفعلِ، كأنَّهُ أمرٌ نازلٌ مُستقرٌّ في قراره، وهو خلافُ الخطأ[8]، ويُقالُ: أصابَ كذا، أي: وجدَ ما طلبَ، وأصابَ السَّهمُ؛ إذا وصلَ إلى المرمى بالصَّوابِ[9]، والمقصودُ بالإصابةِ هنا أن يَصِلَ أذًى ما بقوَّةٍ إلى أحدٍ.

5) ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: (جهل) أصلٌ يدلُّ على خلافِ العلم[10]، والجهلُ ضربانِ: بسيطٌ، ومركَّبٌ، وأقبحُهما الثَّاني؛ لأنَّ صاحبَهُ يجهلُ، ويجهلُ أنَّهُ يجهلُ[11]، والجهالةُ: أن تفعلَ فعلًا بغيرِ علمٍ[12]، وهو المرادُ هنا.

6) ﴿نَٰدِمِينَ﴾: (ندم) أصلٌ يدلُّ على تحسُّرٍ مِن تغيُّرِ رأيٍ في أمرٍ فائتٍ[13]، ومِن ذلكَ يقالُ: ندمَ على ما فعَلَ ندمًا وندامةً، وتندَّمَ مِثلُهُ[14]، والنَّدمُ: ضربٌ مِنَ الغمِّ، وهو أن تغتمَّ على ما وقعَ منكَ، تتمنَّى أنَّهُ لم يقع، وهو غمٌّ يصحبُ الإنسانَ صحبةً لها دوامٌ؛ لأنَّهُ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (نبأ).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نبأ).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 26/ 126.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بين).
(6) الراغب، المفردات: (بين).
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 231.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صوب).
(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (صوب).
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة، والجوهري، الصحاح: (جهل).
(11) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (جهل).
(12) الخليل، العين: (جهل).
(13) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ندم).
(14) الجوهري، الصحاح: (ندم).

كلَّما تذكَّرَ المتندَّمَ عليهِ؛ حزنَ[1]، والمرادُ بهِ هنا: النَّدمُ الدّينيُّ، أي: النَّدمُ على التَّورُّطِ في الذَّنبِ للتَّساهلِ، وتركِ تطلُّبِ وجوهِ الحقِّ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعليمُ المؤمنينَ التَّثبُّتَ في الأخبارِ

يخاطبُ اللهُ تعالى عبادَهُ المؤمنينَ مؤدِّبًا لهم بأدبٍ جديدٍ، فيقولُ: يا أيُّها الَّذينَ صدَّقوا اللهَ ورسوله: إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأٍ عن قومٍ؛ فأمهِلوا، حتَّى تَعرفوا صحَّتَهُ، ولا تَعْجَلوا بقبوله؛ لئلّا تُصيبوا قومًا بُرَآءَ بجنايةٍ، بجهالةٍ منكم، فتندموا على إصابتِكم إيّاهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى شأنُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ عمّا قبلَه؛ لأنَّهُ استئنافُ كلامٍ جديدٍ؛ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ، وهو بيانُ آدابِ جماعاتِ المؤمنينَ بعضِهم مع بعضٍ[4]، وفي هذا الاستئنافِ الابتدائيِّ تنصيصٌ على أهمّيَّةِ هذا الغرضِ، وأنَّهُ حَريٌّ بالاستقلالِ.

العنايةُ بآدابِ تعاملِ أهلِ الإيمانِ بعضِهم مع بعضٍ

سرُّ تكريرِ النِّداءِ:

تكريرُ النِّداءِ في قوله جلَّ من قائلٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؛ لإظهارِ الشَّفقةِ على المُسترشِدِ، وإبداءِ المناصحةِ لهُ على آكدِ وجهٍ؛ ليُقبِلَ على استماعِ الكلامِ، ويُعيرَهُ باله، ولتحديدِ المخاطَبينَ بالذّاتِ، وأنَّهم هم المعنيّونَ بالمناصحةِ، وفيهِ أيضًا استدعاءٌ لتجديدِ الاستبصارِ والتَّيقُّظِ والتَّنبُّهِ عندَ كلِّ خطابٍ[5].

مَن عرفَ أهمّيَّةَ الخطابِ؛ تنبَّهَ، وتيقَّظَ

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 232.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 22/ 286، والمراغي، تفسير المراغي: 26/ 127.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 228.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 363، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 261.

نكتةُ التَّعبيرِ بأداةِ النِّداءِ للبعيدِ (يا):

مَنْ يخالفُ الشَّرعَ يُنزِلُ نفسَهُ في محلِّ البُعدِ

إيثارُ: (يا) الدّالَّةِ على نداءِ البعيدِ - معَ أنَّ المخاطَبَ قريبٌ - في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ مَنِ احتاج إلى التَّصريح بمِثْل هذا التَّنبيه غير مكتفٍ بما أفادَهُ مِن قواعد الشَّرع؛ قد وضعَ نفسَهُ في محلٍّ بعيدٍ، والتَّنبيه على أنَّ ما في حيِّزِها كلامٌ لهُ خطبٌ عظيمٌ[1].

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصوليَّةِ:

الإيمانُ داعٍ إلى الامتثالِ للشَّرعِ

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ للتَّوصُّلِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ - وهو وصفُ الإيمانِ - إلى تنشيطِهم[2]، وللدَّلالةِ على أنَّ الإيمانَ إذا اقتضى التَّثبُّتَ في نبأِ الفاسقِ؛ فأولى أن يقتضيَ عدمَ الفسقِ[3].

دلالة المُضِيِّ في ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾:

مَنْ تحقَّقَ إيمانُهُ؛ وجبَ امتثالُهُ

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ اتِّصافَهم بالإيمانِ أمرٌ قد تحقَّقَ، ورَسَخَ، وثبتَ أصلُه، ولذلكَ استحقّوا شرفَ الخطابِ والتَّكليفِ، ووراء ذلكَ مِن المعنى تنبيهُهُم على ضرورة وجوبِ المُحافظةِ عليه.

سرُّ إيثارِ ﴿إِن﴾:

المؤمنُ لا ينخدعُ بأقوالِ أهلِ الفسقِ

لمّا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ والَّذينَ معَهُ، بالمنزلةِ الَّتي لا يجسُرُ أحدٌ أن يخبرَهم بكذبٍ، وما كانَ يَقَعُ مِثْلُ ما فرطَ مِنَ الوليدِ إلّا في النُّدْرةِ؛ عُبِّرَ بحَرْفِ الشَّكِّ ﴿إِن﴾ - دون (إذا) مثلًا - فقيلَ: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾، وفي ذلكَ إيماءٌ إلى أنَّ على المؤمنينَ أن يكونوا على هذهِ الصِّفةِ؛ لئلّا يطمعَ فاسقٌ في مخاطبتِهم بكلمةِ

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 467، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 363.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 14/ 467.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 298.

زورٍ[1]، وتنبيهٌ على أنَّ شأنَ فِعْلِ الشَّرطِ أن يكونَ نادرَ الوقوعِ، لا يُقدِمُ عليهِ المسلمونَ[2].

دلالةُ المُضِيِّ في ﴿جَآءَكُمْ﴾:

شأنُ المؤمنينَ نُدرةُ أخبارِ الفسقِ بينَهم

﴿إن﴾ لتعليقِ حصولِ أمرٍ بحصولِ أمرٍ في المستقبلِ، فالأصلُ أن يكونَ الفعلُ بعدَها مضارعًا، لكنْ قد يُعدَلُ عنهُ إلى غيرِه لنكتةٍ، وقد عُبِّرَ بالماضي دونَ المضارعِ في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾؛ لتقويةِ الدِّلالةِ على أنَّ مجيءَ الفاسقِ بالنَّبأِ أمرٌ نادرُ الوقوعِ؛ إذ يشيرُ الماضي إلى أنَّهُ حادثةٌ مضَت، وانتهَت، وكأنَّها لا تتكرَّرُ.

سرُّ تنكيرِ ﴿فَاسِقٌۢ﴾:

عمومُ الحكمِ لكلِّ فاسقٍ

تنكيرُ ﴿فَاسِقٌۢ﴾ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾ للتَّعميمِ؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ الشَّرطِ تُفيد العمومَ، أي: (إن جاءَكم أيُّ فاسقٍ؛ كانَ بنبأٍ)[3]؛ لعِظَمِ خطَرِ تناقُلِ الأنباءِ الكاذِبَةِ - سلْبًا - على الفردِ والجماعةِ.

علَّةُ تخصيصِ الفاسقِ بالذِّكرِ:

ضَعْفُ الوازعِ الدِّينيِّ عندَ الفاسقِ يترتَّبُ عليهِ دمارُ الفردِ والمجتمعِ

تخصيصُ الفاسقِ بالذِّكرِ في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾؛ لأنَّ خبرَهُ مُعرَّضٌ للرِّيبةِ والاختلاقِ؛ لأنَّ الفاسقَ ضعيفُ الوازعِ الدِّينيِّ في نفْسه، وضَعْفُ الوازعِ يجعلُهُ جريئًا على الاستخفافِ بالمحظورِ، وبما يُخبِرُ بهِ في شهادةٍ، أو خبرٍ يترتَّبُ عليهما إضرارٌ بالغيرِ، أو بالصّالحِ العامِّ، ويُقوّي جرْأتَهُ على ذلكَ دوْمًا؛ إذا لم يُتُبْ، ويندَم على ما صدرَ منهُ، ويُقلِعْ عن مِثلِه[4].

---

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 513، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 160.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 229.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 134، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 118.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 231.

معنى الباءِ ودلالة التَّعبير بها:

كمالُ اعتناء الفاسق بالخبرِ المكذوب

الباءُ في قوله تعالى ذِكرُهُ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ للتَّعدية، أو للملابسة[1]، التي هيَ الإلصاقُ، وهذا المعنى هو الأصلُ فيها، وهوَ يَدُلُّ على غايةِ اعتناءِ الفاسقِ بالنَّبأ، فكأنَّه يُمسِكُ به، ويُلْصِقُه بيدِه، يريدُ أن يوصِّلَه إلى أحدٍ ما، وأنْ يُحْدِثَ أثَرَه الَّذي يريدُه.

سرُّ تنكيرِ (نبَأٍ):

الاحترازُ الشَّديدُ مِن أخبارِ الفُسّاقِ واجِبٌ

تنكيرُ النَّبأ في قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ للتَّعميم؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ الشَّرطِ تُفيد العمومَ، والمعنى: (إن جاءَكم أيُّ فاسقٍ، كانَ بأيِّ نبأٍ كانَ)[2]، وفي ذلكَ ما لا يَخْفَى مِنَ التَّنبيهِ على ضرورةِ التَّحرّي والتَّثبُّت.

معنى الفاءِ، ودلالة التَّعبير بها في ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾:

قوَّةُ ارتباطِ التَّبيُّنِ بمجيءِ الفاسقِ بالنَّبأ

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ بالشَّرط؛ لأنَّ الجملةَ طلبيَّةٌ[3]، وفائدةُ هذهِ الفاءِ تقويةُ الرَّبطِ بينَ الشَّرطِ وجوابه، فتفيدُ أنَّ وجوبَ التَّبيُّنِ مرتبطٌ بمجيءِ الفاسقِ بالنَّبأ ارتباطًا وثيقًا، وهذا يُحرِّكُ لضرورةِ تحقيقِ جوابِ الشَّرطِ؛ إذا تحقَّقَ الشَّرطُ؛ لقوَّة السَّببيَّةِ بينهما.

دلالةُ الأمرِ في ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾:

كلامُ الفاسقِ لا يُبْنَى عليهِ حُكْمٌ

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ للوجوبِ، وهو أمرٌ يقتضي ألّا يُعتمدَ على كلامِ الفاسقِ، ولا يُبنى عليهِ حكمٌ[4]، وفي نظْمِ معناهُ أمرًا دون أنْ يُقال مَثَلًا: (فيجب عليكم أن تتبيَّنوا)، بيانُ أنَّ هذا المعنَى مطلوبٌ تحقُّقُه بشدَّةٍ وعنايةٍ.

---

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 117.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 350، والخفاجي، عناية القاضي: 8/ 75.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 262.

(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 513.

علَّة التَّعبيرِ بالتَّبيُّنِ:

أهلُ الإيمانِ أهلُ تثبُّتٍ وتفحُّصٍ

عُبِّرَ بالتَّبيُّنِ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؛ لدلالته على ضرورةِ غايةِ التَّوقُّفِ في الخبرِ، والتَّفحُّصِ، وتطلُّبِ بيانِ الأمرِ وانكشافِ الحقيقةِ[1]؛ نظرًا إلى أنَّ الذي جاءَ بالخبرِ فاسقٌ؛ وإذا كانَ المؤمنونَ بمنزلة التَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ؛ كفَّ الفاسقُ عن مجيئِهم بما يريدُ[2].

سِرُّ الحذفِ في ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾:

أهلُ الإيمانِ إنَّما يعتدّون بالخبر بعد التَّبيُّنِ

الفعلُ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ متعدٍّ إلى مفعولٍ؛ لأنَّه بمعنى: (أبانَ)، أي: (تأمَّلوا)، و(أبينوا)، والمفعولُ محذوفٌ، دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿بِنَبَإٖ﴾، أي: تبيَّنوا ما جاءَ بهِ، أو: فتبيَّنوا الحقَّ[3]، وسرُّ الحذفِ الإرشادُ إلى عدمِ الاعتدادِ بالخبرِ، الَّذي جاءَ الفاسقُ به إلّا بعدَ التَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ، وتصويرُ أنَّ المفعولَ - إنْ كانَ الحقَّ - يكونُ غائبًا عن بصيرةِ الَّذي جاءَه الفاسقُ بخبرِه، فعليه أن يتبيَّنَه؛ ففي الحذفِ إبلاغٌ في تقريرِ الأمرِ بالتَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ.

التَّوجيهُ البلاغيُّ لقراءتَي قولِه: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾:

مآلُ القراءتينِ الحثُّ على تحرّي الحقِّ

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ: ﴿فَتَثَبَّتُوٓاْ﴾، وقرأ الباقونَ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[4]، والمعنى على القراءةِ الأولى: فتوقَّفوا إلى أن يتبيَّنَ لكم الحالُ[5]، والمعنى على الثّانيةِ: تطلَّبوا بيانَ الأمرِ وانكشافَ الحقيقةِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ المقصودَ مِنَ التَّثبُّتِ تبيُّنُ الحالِ، فتكونُ القراءةُ الأولى بمعنى القراءةِ الأخرى، وقراءةُ الجمهورِ غايةٌ لقراءةِ حمزةَ ومَن معَه[6]، وإحدى القراءتَيْنِ تلزم الأخرى، وإنَّما قُرِئَ بهما

(1) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 350، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 118.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 513.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 231.
(4) النشر، وابن الجزري: 2/ 376.
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 134.
(6) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 75، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 231، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 364.

جميعًا؛ إبلاغًا في طلبِ الوقوفِ على الحقِّ؛ لتصويرِ خطرِ قَبول الأخبارِ مِن غيرِ فحصها، والتَّثبُّتِ منها، وكلُّ ذلك ناظِرٌ إلى حالِ الَّذي جاء بالخبر، مِن كونه فاسقًا مستهترًا مستخِفًّا بأحوالِ الخَلْق.

بلاغةُ الحذف في ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾:

التَّبيُّنُ يَقي مِنَ الإضرارِ بالآخرين

في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾ وجهانِ - مِن جهة تقدير محذوفٍ - أحدُهما أنَّ المرادَ: (لئلّا تصيبوا). وثانيها أنَّ المرادَ: (كراهةَ أن تصيبوا)[1]، فالمصدرُ في محلِّ نصبٍ، على أنَّهُ مفعولٌ لهُ، حُذِفَ منهُ مضافٌ، وهو: (كراهة)، أو حرفُ نفيٍ[2]، وأيًّا ما كانَ؛ فهو علَّةٌ للتَّبيُّنِ المأمورِ بهِ، وحَذْفُ ما يُشْعِرُ بالتَّعليلِ - حرفًا كان أو اسْمًا - احتفالٌ بالعِلَّةِ، بالإسراعِ إلى ذكرها.

دلالة المضارعة في ﴿أَن تُصِيبُواْ﴾:

الإصابةُ أمرٌ مستقبلٌ واقِعيٌّ بيِّنُ الأثر

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قوله ﷻ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾؛ لأنَّ الإصابةَ أمرٌ مستقبلٌ بالنِّسبةِ لزمنِ تركِ التَّبيُّنِ، ويُقوّي ذلكَ: ﴿أَن﴾ الَّتي تُعيِّنُ المضارعَ للاستقبالِ، وفيه أيضًا استحضارُ حالةِ الإصابةِ أمامَ بصيرة المخاطَبِ وبصرِه، كأنَّها تحدُث أمامَه شيئًا فشيئًا؛ ليعتنيَ بالتَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ، ولو قيل: (فتبيَّنوا إصابةَ قومٍ بجهالةٍ)؛ لفاتَ ذلكَ.

علَّةُ التَّعبيرِ بالإصابةِ:

الضَّررُ المُترتِّبُ على قَبول الخبر - مِن غير تبيُّن - عظيمٌ

جيءَ بالإصابةِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾؛ لأنَّ الغالبَ أنَّها تُستعملُ فيما يسوءُ[3]، والبناءُ على خبرٍ غيرِ متحقَّقٍ فيهِ ضررٌ كبيرٌ، والضَّررُ النّاتجُ عن قَبول الأخبارِ مِن غيرِ تبيُّنٍ وتثبُّتٍ نافِذٌ وقويٌّ لا محالة.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 99.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 75.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 99.

سرُّ تنكيرِ ﴿قَوْمًا﴾:

تنكيرُ ﴿قَوْمًا﴾ في قوله ﷻ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ للعموم، أي: (قومًا أيَّ قومٍ كانوا)[1]، وهذا يعني: أنَّ الأخبارَ الكاذبةَ تُدمِّرُ المجتمعاتِ والأفرادَ.

معنى الباءِ، ودلالة التَّعبير بها في ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾:

الإضرارُ بالآخرينَ حالَ الالتباس بالجهالةِ

الجارُّ والمجرورُ في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ في تقديرِ حالٍ، والباءُ للملابسةِ، أي: (ملتبسينَ بجهالةٍ حالِهم)[2]، فيدلُّ هنا على غايةِ فظاعةِ قَبولِ النَّبأ معَ عدمِ التَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ منه، وقبحِه، وهذا ذمٌّ شديدٌ لمَن لم يقُم بالتَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ.

نكتةُ تنكيرِ ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾:

تنكيرُ: ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ للتَّعظيم، أي: بجهالةٍ عظيمةٍ، وفي ذلكَ تنبيهٌ على عِظَمِ الإضرارِ بالآخرينَ دونَ حقٍّ وبيِّنةٍ، وعلى توكيد طلبِ التَّبيُّنِ والتَّثبُّتِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالجهالةِ:

جهالةُ مَنْ يُصغي لخبرِ الفاسقِ عظيمةٌ جِدًّا

عُبِّرَ بالجهالةِ دونَ الجهلِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾؛ للمبالغةِ في ذمِّ مَن يقْبَل الخبر مِن الفاسق بدون تثبُّتٍ وتبيُّنٍ؛ إبلاغًا في تنفيرِه مِن ذلكَ، وحثًّا له على تحقيقِ التَّبيُّن والتَّثبُّت؛ لأنَّ زيادةَ المبنى تدلُّ على زيادةِ المعنى.

معنى الفاءِ، ودلالة التَّعبير بها في ﴿فَتُصْبِحُواْ﴾:

الإضرارُ بالآخرينَ مآلُهُ النَّدمُ العظيمُ

الفاءُ في قوله ﷻ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ للسَّببيَّة، فتفيدُ تسبُّبَ صيرورتِهم نادمينَ عن إصابتِهم غيرَهم بجهالةٍ[3]، وأنَّ النَّدمَ يكونُ بقَدْرِ الإصابةِ والجهالةِ، أي: إنَّ النَّدمَ يكونُ عظيمًا.

---

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 299.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 99، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 118.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 365.

علَّةُ التَّعبيرِ بالإصباحِ في ﴿فَتُصْبِحُواْ﴾:

أشنعُ النَّدمِ ما كـانَ في وقـتِ الغفلةِ

عُبِّرَ بالإصباحِ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ لدلالته على معنى الصَّيرورةِ[1] المطلقةِ مِن غيرِ تقييدٍ بوقتِ الصَّباحِ[2]، وإنَّما عُبِّرَ بذلكَ؛ لأنَّ أشنعَ النَّدمِ ما استقبلَ الإنسانَ صباحًا وقتَ فراغه وإقباله على لذّاته[3].

معنى ﴿عَلَىٰ﴾، ودلالة التَّعبير بها:

نـدمُ الجهالةِ مُفرِطٌ

﴿عَلَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ للاستعلاءِ المعنويِّ، فتفيدُ تمكُّنَ النَّدمِ منهم، مِن أجلِ تمكُّنِهم مِن الَّذي فعلوه، مِن أنَّهم أصابوا قومًا بجهالةٍ، وفي ذلك غايةُ التَّنْفيرِ مِن قَبول خبر الفاسق مِن غير بيِّنةٍ.

نكتةُ التَّقديم في ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾:

الإصابـةُ بـدون تـثـبُّـتٍ مـحـلُّ العنايةِ

قُدِّمَ قولُه: ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ على قوله: ﴿نَٰدِمِينَ﴾، في قوله جلَّ مِن قائلٍ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾، على خلافِ الأصلِ والظّاهر؛ للاهتمامِ بذلكَ الفعلِ - وهو الإصابةُ بدونِ تثبُّتٍ - ووجهُ ذلكَ: التَّنبيهُ على خطرِ أمره[4]، ونتَج عن ذلك ملاءمةُ فاصلةِ الآيةِ لِما بعدَها[5].

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ في ﴿مَا فَعَلْتُمْ﴾:

الإصابـةُ بـدونِ تثبُّتٍ فعلٌ شنيعٌ موجِبٌ للنَّدمِ

عُبِّرَ بالموصولِ في قوله تعالى ذكرُهُ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ للتَّوصُّلِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ إلى بيانِ ما هو علَّةُ النَّدمِ، وهو ما فعلوهُ مِنَ الإصابةِ بدونِ تثبُّتٍ، وأنَّهُم عُرِفوا، وشُهِروا به، والغموضُ في: ﴿مَا﴾ أشدُّ مِن الغموضِ في: (الذي)، فيفيدُ عظَم ما كان منهم.

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 134.
(2) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 75.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 365، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 120.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 234.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 120.

دلالة المُضيِّ في ﴿فَعَلْتُمْ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الفعلِ، والتَّسجيلِ بهِ على المخاطَبينَ؛ لاستثارةِ دوافعِ النَّدمِ في نفوسِهم.

علَّةُ التَّعبيرِ بالنَّدمِ:

لا يُقدِمُ العاقلُ على ما يجلبُ لهُ الغمَّ على الدَّوامِ

عُبِّرَ بالنَّدمِ في قوله تعالى شأنُهُ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ لدلالته على الغمِّ الَّذي يلازمُ صاحبَهُ، ولا يفارقُهُ[1]، وتركيبُ هذهِ الأحرفِ الثَّلاثةِ - وهي النّونُ والدّالُ والميمُ - دائرٌ على معنى الدَّوامِ، فإنَّ النَّدم غمٌّ يصحب الإنسان مصحبةً لها دوامٌ ولزامٌ؛ لأنَّه كلَّما تذكَّر المتندِّم عليه؛ راجعه[2]، وفي ذلكَ مزيدُ تحسيرٍ للَّذينَ لا يتثبَّتونَ في خبرِ الفاسقِ، ومزيدُ تحذيرٍ لهم[3]؛ إذ العاقلُ الفَطِنُ لا يُقدِمُ على ما يجلبُ لهُ الغمَّ على الدَّوامِ.

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الفاعلِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾:

جيءَ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ المجموعِ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ في قوله جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾؛ للإيماءِ إلى عَراقةِ المخاطَبينَ في الأسفِ والنَّدمِ على ما فعلوهُ[4]؛ تَرهيبًا مِن سببِه، وتحذيرًا منه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المجيءُ والإتيانُ:

تحقُّقُ صدورِ النَّبأِ مِنَ الفاسقِ

الإتيانُ مجيءٌ بسهولةٍ، ومنهُ قيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهه: أتيٌّ، وأتاويٌّ[5]، والمجيءُ أعمُّ[6]، والإتيانُ قد يقالُ باعتبارِ القصدِ، وإن لم يكن منهُ الحصولُ، والمجيءُ يقالُ اعتبارًا بالحصولِ[7]، فتكونُ دلالةُ:

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 360.
(2) ابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 120.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 100.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 365.
(5) الراغب، المفردات: (أتي).
(6) الراغب، المفردات: (جاء).
(7) الراغب، المفردات: (جاء).

(جاءَ) على المجيءِ أقوى مِن: (أتى)، وعلى هذا يكونُ الإتيانُ أعمَّ مِنَ المجيءِ، مِن هذهِ النّاحيةِ[1]، وقد عُبِّرَ بالمجيءِ هنا؛ لدلالته على تحقُّقِ صدورِ النَّبأِ مِنَ الفاسقِ، وأنَّ مجيئَه به ذو خطَرٍ، مِمّا يوجِبُ على المخاطَبينَ ضرورةَ التَّبيُّن.

النَّبأُ والخبرُ:

التَّثبُّتُ مِنَ الخبرِ واجـــبٌ، وإن غلبَت على الظَّنِّ صحَّتُهُ

النَّبأُ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ يحصلُ بهِ علمٌ أو غلَبةُ ظنٍّ، ولا يقالُ للخبرِ: نبأٌ، حتَّى يتضمَّنَ هذهِ الأشياءَ الثَّلاثةَ، وحقُّ الخبرِ - الَّذي يقالُ فيهِ: نبأٌ - أن يخلوَ عن الكذبِ، كالتَّواترِ، وخبرِ اللّه تعالى، وخبرِ النَّبيِّ ﷺ، والتَّعبيرُ به في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تنبيهٌ على أنَّهُ إذا كانَ الخبرُ شيئًا عظيمًا لهُ قدرٌ، فحقُّهُ أنْ يُتوقَّفَ فيهِ، وإن عُلِمَ، وغلبَت صحَّتُهُ على الظَّنِّ، حتَّى يُعادَ النَّظرُ فيهِ، ويُتبيَّنَ فَضْلَ تبيُّنٍ[2]، وفيهِ إيماءٌ إلى أنَّهُ إذا رُتِّبَ التَّبيُّنُ على الأخصِّ المُخبَرِ بهِ؛ فالأعمُّ الَّذي لا يُتحفَّظُ في نقْله أوْلَى بذلكَ[3].

العملُ والفعلُ:

التَّسـرُّعُ في تصديقِ خبرِ الفاسقِ موجِبٌ للنَّدمِ

العملُ: المُثابَرةُ على الشَّيءِ، لا الإتيانُ بهِ مرَّةً أو بسرعةٍ، قالَ تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: 13]، والفعلُ: الإتيانُ بالشَّيءِ بسرعةٍ مِن غيرِ تَوانٍ، قالَ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: 4][4]، والأصلُ في العملِ أن يكونَ بقصدٍ، والفعلُ عامٌّ، يَصدُرُ بقصدٍ، وبغيرِ قصدٍ، ويَصدُرُ عنِ العاقلِ، وغيرِ العاقلِ، وقلَّما يُنسَبُ العملُ إلى حيوانٍ، وبناءً على ذلكَ يكونُ الفعلُ أعمَّ، والعملُ أخصَّ[5]، وقد عُبِّرَ بالفعلِ هنا؛ لدلالته على التَّسرُّعِ في تصديقِ خبرِ الفاسقِ، وهو موجِبٌ للنَّدمِ.

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 81، وزيدان، الفروق اللغوية، ص: 50.
(2) الراغب، المفردات: (نبأ)، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 297.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة:/ 36.
(4) النزهي، الفروق اللغوية، ص: 55.
(5) فاضل السامرائي، لمسات بيانية: 10/ 252.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"